يشتمل التاريخ الأدبي العربي على محطات عديدة تعرفنا بشخصياته العظيمة، والتي لعبت ولازالت تلعب دورا هاما في ازدهار و تطور الشخصيات الأدبية، و التي من بينها أبي فراس الحمداني و المعتمد ابن عباد، هذان الأخيران سيتم التطرق إليهما بالتعريف.

أولا:التعريف بالمعتمد بن عباد:

1- **المعتمد بن عباد الإنسان والشاعر:**هو أبو القاسم المعتمد علي الله محمد بن المعتضد عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي من سلالة لنعمان بن المقتدر اللخمي،أمير الحيرة في الجاهلية ولد عام 431هـ ،نشا في الحلية والزينة والترف والتربية وكانت فيه فطنة وذكاء، ولهذا شب مفعما وتفتحت ملكته الشعرية،ولاه أبوه حكم مدينة شلب في الجنوب الغربي من الأندلس ونزل قصر الإمارة المسمى"الشراجيت"تعرف إليه ابن عمار الشلبي[1] ،كما أن المعتمد بن عباد اللخمي هو صاحب اشبيلية وقرطبة وما حولها، فهو احد أفراد الدهر شجاعة وحزما وضبطا للأمور وقد اختلف في تاريخ ولادته فمنهم من قال أنها كانت في ربيع أول من عام 431هـ [2]، بينما قال آخرون أنها كانت في الشهر نفسه من العام 432هـ. [3]

امتلك قرطبة وكثيرا من مماليك الأندلس ،اتسع سلطاته إلى أن بلغ مدينة مرسية وكانت تعرف بتدمير وأصبح محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب احد من ملوك عصره ما كان يجتمع في بابه من أعيان الأدب، كان فصيحا شاعرا،كاتبا، مترسلا[4]، وأسرته عربية عريقة، نزحت من العريشة إلى الأندلس، فاستقرت في غريبة حنيا، ثم استوطن اشبيلية وعظم فيها شأنها.[5]

بدأت الأسرة تمارس السياسة في الدولة الأموية وتتولى المناصب الكبيرة وبقيت كذلك إلى عهد المنتصر وابنه هشام وحاجبه المنصور وكان رأس الأسرة إسماعيل بن عباد.

[1] _ عيسى خليل محسن ،أمراء الشعر الأندلسي،دار جليل،عمان،الأردن،ط1428،2007/1، ص 213.

[2] _ ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج 4 ،ص 112.

[3] _ عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب و الأندلس،دار العلوم ،بيروت ،دط 1937 ،ص 713.

[4] – خير الدينالزركلي، الأعلام،ج 7، مج 3، ط 3، ص 50.

[5] – شوقي ضيف، العباسي الثاني، دار المعارف، د ط ، مصر، دبي ص 221.

أديبا فقيها،ثريا، فولاه المنصور ابن أبي عامر خطط القضاة، وما زال يليها حتى سقطت الدولة الأموية[1].

وقد توافرت للمعتمد مؤهلات السيادة والقيادة، إذ اجتمعت في شخصه من الصفات، ما أهله لان يحتل مكانة مرموقة بين ملوك الطوائف، وهذا المراكشي في حديثه عن صفات المعتمد يقول :" انه لا يعرف خصلة تحمد في رجل إلا وقد وهبه الله منها أوفر قسم وضرب له فيها بأوفى سهم وإذا عدت حسنات الأندلس، من الدن فتحها إلى هذا الوقت فالمعتمد هذا احدها بل أكثرها "[2].

وكلام المراكشي هذا وان بدا فيه بعض المبالغة نجد ما يؤيده من كلام سواه من المؤرخين والأدباء، ممن كتبوا في سيرة المعتمد، إذ ليس هو وحده من يخلع عليه هذه الصفات فقد وصفه (ابن خلكان) بقوله : " انه أندى ملوك الأندلس راحة، وارحمهم ساحة،وأعظمهم ثمادا،وارفعهم عمادا، ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال، ومؤلف الفضلاء حتى انه لم يجتمع في بباب احد من ملوك عصره.

من أعيان الشعراء و أفاضل الأدباء ما كان يجتمع لبابه "[3] ولم يكونا وحدهما الواصفان للمعتمد والذاكران لجملة صفاته فقد كان غيرهما الكثيرون ممن أعجبوا به وكتبوا فيه الكثير، فهذا(الفتح بن خاقان)قد كان له من عبارات المديح والثناء مالم يفعله أحد غيرهفقد وصفه بأنه(ملك قمع العدا،وجمع البأس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى،لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه،آونة يراعه،وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم،وثغوره بواسمولياليه كلها دررا وللزمان أحجالا وغرارا)[4] وبإمعان النظر في أقوال الأدباء السابقة نجد أن صفات الرجولة قد تكاملت في المعتمد، إذ صوره الأدباء في أحسن صورة تكون للإنسان الشجاع الكريم،المرهف الحس،القائد المحنك والحاكم الحليم،وإذا ظن أحد أن الأدباء قد غالوا في مدحه، وحادوا عن الواقعية في وصفه،والتجرد في مدحه،فسنحاول إنشاء الله تلمس.هذه

---

[1]– شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 221.

[2]– المراكشي عبد الواحد، المعجم في تلخيص أخبار المغرب، دار الفكر ، القاهرة، دط، 1963، ص 158.

[3]– ابن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان،ج/4، ص 115.

[4]_ الفتح بن خاقان،قلائد العقيان،ص4.

الصفات في المعتمد وسيرته من خلال تتبع مراحل حياته ومجرياتها الاجتماعية والسياسية.

وكذا الشخصية،وقد كان المعتمد بن عباد شاعرا يقدر الشعر حق قدره،ويحب مجالس الشعراء،فهو من تجمعت فيه أسباب كثيرة ألهبت عواطفه على اختلاف أنواعها،فهو محب شريب،تلعب به عواطف الحب،ثم تلهبها الخمرة ومن ناحية أخرى،يعتز أحيانا في ملكه،فتمدحه الشعراء وتلهب فيه عواطف المجد والفخر لديه،[1] فقد كانت حضرة المعتمد مجلس أدبي يقصده الأدباء والشعراء،وكان المعتمد يحسن مكافأتهم،ويجزل لهم العطايا[2]وقد ورد ذكر الشعراء الذين وفدوا على بلاط المعتمد،وضمتهم حضرته،وكان منهم الشاعر بن عمار،الذي كان نادرة وقته براعتا وأدبا،وحسن مجالسة،[3] ومن هؤلاء أيضا أبو الوليد،أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون،ذو الأدب البارع والشعر الرائعأحد شعراء الأندلس المجيدين،وفحولها المبرزين،كان إذا أنسب أنساك كثيرا، وإذا مدح أزرى بزهير،وإذا فخر أناف عن امرئ القيس[4].

وأيضا عبد الجليل بن وهبون الذي كان،حسن الشعر، لطيف المأخذ،حسن التوصل إلى دقيق المعاني[5]،ومن أخبار المعتمد مع شعرائه،أنه كان يستدعيهم ويستمع إلى شعرهم ويحسن جوائزهم،ويسمعهم من شعره هو،وقد يخطر في باله صديق أديب غائب عن مجلسه فيرسل إليه بشعر يدعوه به،كما أرسل إلى الطبيب أبي محمد المصري فجاءه على عجل إجابة لرغبته ونال من عطائه الشيء الكثير[6] ،وقد ورث المعتمد الشاعرية عن جده وأبيه،ثم زكت شاعريته بقراءته وثقافته،وحفظه روائع الأدب،وحياته في بيئة ملك وترف،وطول مخالطته للشعراء حتى أنه كان يختارهم وزراء،ويراسل الأصدقاء والشعراء،برسائل من الشعر بدل النثر،[7]وهذا كما سبق وذكرنا أنه يراسل من كانوا غير حاضرين في مجلسه بشعر ليحضروا.

---

[1] _ أحمد أمين،ظهر الإسلام،ج1، دار الكتاب العرب،بيروت،لبنان،ط2، 1425، 2005، ص171.

[2] _ المرجع نفسه،ص173.

[3] _ لسان الدين بن الخطيب،تاريخ اسبانيا الإسلامية،أعمال الأعلام،دار المكشوف،بيروت،ط2، 1956، 159، 160.

[4] _ المراكشي عبد الواحد،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص162.

[5] _ المرجع نفسه،ص159.

[6] _ بطرس البستاني،أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث،ج2، دار الجيل، بيروت،دط،دس،ص149.

[7] _ شوقي ضيف،العصر العباسي الثاني،ص223.

وفي جانب أخر من جوانب شخصية المعتمد،وهو جانب الرجولة،إذ يظهر هذا جليا في سيرنه،فهو رجل شجاع شجاعة لا تهور فيها،وحازم من دون أن يكون حزمه مدعاة لتسلطه واستبداده،ومع شجاعة الرجل وحزمه نجده هادئا،حالما،واسع الصدر،يحب الوضوح والصراحة،يمقت الغدر والخيانة،لا يحب اللعب في الظلام[1] ،وقد ظهر حزم المعتمد مع وزيره وصديق حياته،الشاعر ابن عمار صاحب النفس العصامية،الذي بدأ حياته يتقلب في بقاع الأندلس وقد ولاه المعتمد ولاية شلب بلد الشاعر،ابن عمار فكان ملاوم له ورفيق دربه وكان يعده لكل أمر جليل،إلا أنه غدر به وخانه،بالتحاقه ببني هود فقام المعتمد بسجنه بعد تسلمه من بني هود ثم قتله بنفسه،ولم تفلح كل محاولات ابن عمار في استعطاف المعتمد واسترحامه[2]،ولم يكن المعتمد ليبطش بأعوانه،أو المقربين اليه،دونما سبب ولا يظلم الناس لمجرد الشائعات،بل هو شخصية تكره الشائعات،لأنه يكره الغدر والخيانة وكذا الوشاية،ويحب الوضوح والصراحة[3] ومن هنا تظهر ملامح شخصية المعتمد،حازم حيث يلزم الحزم،متسامح حيث التسامح ،وشاعر ينشد الشعر ويتذوقه.

ويحب الشعراء ويستمع إليهم،والمعتمد بالإضافة إلى كل هذه السجايا المستحيل تداركها في كائن واحد نجده يحفها بمكرمة أخرى،عزيزة المنال على أمثاله،ألا وهي الثقة المطلقة بالنفس،وساعد صلب عند اشتداد الأزمات،والتعلق المطلق بما تخبئه المقادير مع الإيمان الراسخ بأن الدنيا مهما علا شأنها فهي في أخر المطاف كما يقول المعتمد:

_ فَأَوَلُهَـــا رَجَـــاءٌ مِـــنْ سَـــرَابٍ وَأَخِرُهَـــا رِدَاءٌ مِـــنْ تُـــرَابٍ[4].

هذا هو المعتمد وشخصه المتميز والجامع للخلق والنبل وروعت المكارم،المحب للهو والشعر،والحازم الملتزم المتعدد المواهب.

2_ المعتمد بن عباد السياسي والقائد:تظهر مواهب المعتمد بن عباد، على صعيد سياسي وقيادي جلية في محطات ثلاث.

---

[1] _ لسان الدين بن الخطيب،تاريخ اسبانيا الإسلامية،ص160/159.

[2] _ المرجع نفسه،ص159.

[3] _ الفتح بن خاقان،قلائد العقيان،ص14.

[4] _ المعتمد بن عباد، الديوان، تحقيق أحمد أحمد بدوي وأخرون، الدار التونسية للنشر، دط، 1951،ص51.

أ_ المحطة الأولى: تشمل المهام العسكريةوالسياسية التي أوكلت إلى المعتمد قبل أن يصبح ملك من قبل أبيه.

ب_ المحطة الثانية: المهام العسكرية والسياسية التي أوكلت إلى المعتمد أثناء حكمه الممتد من (461هـ)وحتى(484هـ).

ج_ المحطة الثالثة: دور المعتمد بن عباد في معركة الزلاقة التي وقعت سنة(479هـ)[1]

وبمحاولة للتطرق إلى المراحل الثلاث في توسع،نجد أنها حاملة لأحداث كثير وهامة ساهمت في تكوين شخصية المعتمد القائد والسياسي والحاكم للدولة بقبضة مسؤولة ويقظة،فالمرحلة الأولى هي بداية تكوين القائد بالنسبة لوالديه،فقد كان منشغلا بتكوين ولي العهد الذي سيخلفه يوما على عرش اشبيلية،والمرغوب فيه أن يكون في المستوىفي شتى المجالات، فبدأ المعتضد بتعيين ابنه على رأس جيش ليتدرب على قيادة حملة.[2] عسكرية،وكانت الحملة هذه المرة ضد مالقة تلبية لاستنجاد العرب القائمين بها، بالأمير الأشبيلي،ليخلصهم من جو وعدوان الأمير البربري(باديس بن حبوس)وكان من المتوقع الانتصار الأكيد،نظرا لتفوق الجيش لعبادي عدد وعدة وبالفعل لم يواجه المعتمد أي صمود ودخل مالقة بكل سهولة ولكن عوض أن يثبت انتصاره،باتخاذ الإجراءات اللازمة بعين المكان أسرع إلى إشباع شهواته حسب عاداته متخليا عن مسؤوليته متجاهلا عواقب الأمور،فاستغلت جيوش مالقة هذا التهاون وعادت إلى الميدان فأذاقت المعتمد مرارة الانهزام وشاء القدر أن ينجو هذا الأخير بنفسه وارتأى ألا يعود إلى اشبيلية يتقي شر والده الذي كان في غضب المعتضد وخيمة لا محالة،وهكذا فضل المعتمد أن يلتجئ بمدينة رندة،مدة من الزمن ليفكر في أنجع الوسائل التي من شأنها أن تأتي بوالده إلى العفو عنه،فرأى أن ينظم قصيدة شعرية في هذا الموضوع ضمنها بكل ما يبرر ما جرى له من عدم خبرة وسوء سلوك إلى هذا اليوم المشؤوم،مع الوعد بأنه سينتبه في المستقبل إلى مهامه بكل جدية،حتى يكون في المستوى المطلوب،وكان لهذه القصيدة أثرا شديدا

[1] _ نديم مرعشلي،المعتمد بن عباد بطل جسد مأساة الأندلس وشاعر مجدها المفقود،دار الكتاب العرب،دط،دس،ص17.

[2] _ حمدان حجاجي،محاضرات في الشعر الأندلسي(في عصر الطوائف)،منشورات زرياد،الجزائر،دط،1993،ص40.

على المعتضد فخففت من حدة غضبه،وحنقه لما تضمنته، من حنان وعواطف صادقة وتبريرات مقبولة، والكل جاء في أسلوب بديع اهتز له المعتضد الشاعر ورأى أن ابنه شاعرا بارعا[1]،وجاء مطلعها كالاتي:

_ سَكِـنْ فُؤَادَكَ لَا تـذْهِبْ بِـهِ الفِكْرُ مَـاذَا يُـعِيدُ عَلَـيْكَ البّـثُ وَالـحَذَرُ.

_ وَاجْزِرْ جُفُونَكَ لَا تَرْضَى البُكَاءَ لَهَا وَاصْبِرْ لَقَدْ كُنْتَ فِي الخَطْبِ تَصْطَبِرُ.

_ وَإِنْ يَكُنْ قَـدْ عَاقَ عَنْ وَطَـرٍ فَلَا مَـرَدَّ لِـمَا يَأْتِـي بِهِ القَدَرُ[2].

إلى أن يقول:

_ رِضَاكَ رَاحَةُ نَفْسِي لَا فَجِعْتُ بِـهِ فَهُوَ العَـتَادُ الـذِي لِلـدَّهْرِ أَدَخِرُ.

_ مَا تَرْكِي لِلخَمْرِ مِنْ زُهْدٍ وَلَا وَرَعٍ فَلَمْ يُفَارِقْ-لَعَمْرِي-سِنِي الصِّغَرُ.

_ وَإِنـمَا أَنَا سَـاعٍ فِي رِضَاكَ فَإِنْ أَخْفَقْتُ فِيهِ فَلَا يُفْسَحُ لِي الـعُمْرُ[3].

وقد نجح المعتمد في استعطاف والده بهذه القصيدة المؤثرة،حيث وضح لأبيه أن الحزن لا يرد مفقودا،وقد اعتذر المعتمد عن خطئه بطريقة ذكية،إذ نسب إخفاقه إلى القضاء والقدر ثم رفع من معنويات والده بأن هذه الخسارة لن تكون قاضية لقائد عظيم مثل المعتضد وكأنه يتمثل بالآية الكريمة،قال تعالى"**وَتِلْكَ الأَيَامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسْ**"[4]وهذا ليستميل رضا المعتضد،ويذكر المعتمد أخيرا أثر الهزيمة فيه،فلم يكن أقل من أبيه.

وهو جزع النفس،دامع العين،منخفض الصوت،منكسر الطرف،[5]ومن كل هذا عفا عنه والده وسمح له بالعودة إلى اشبيلية وألا يعود إلى ما كان عليه سابقا[6]،وقد عمل المعتضد على إبعاد كل العوامل الساهمة في فشل ابنه المعتمد،وكذا الأسباب التي أدت به إلى

---

[1] _ حمدان حجاجي،محاضرات في الشعر الأندلسي،ص41،40.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص116.

[3] _ المصدر نفسه،117.

[4] _ آل عمران الأية،140.

[5] _ نديم مرعشلي،المعتمد بن عباد بطل جسد مأساة الأندلس وشاعر مجدها المفقود،ص16.

[6] _ ينظر،حمدان حجاجي،محاضرات في الشعر الأندلسي،ص41.

البعد عن المسؤولية،والتي من بينها ابن عمار باعتباره المسؤول عن سيرة ابنه ووليعهده[1]. وبذلك تجاوز المعتمد فشله وتبصر بأمور الحرب حيث أن هذه التجربة أعطته درسا قاسيا،استفاد منه في معاركه التالي،ولما تولى المعتمد أمور الحكم في اشبيلية بعد وفاة أبيه سنة(461)وهنا كانت المرحلة الثانية وفيها استطاع المعتمد أن يوسع سلطانه ويزيد من مدى نفوذه وكان الهدف الأول له،هو ضم قرطبة إلى مملكته،فقد كانت هذه الأخيرة منتهى أمله[2]وكانت الحيلة التي سعى من خلالها المعتمد إلى قرطبة،أنه أوقع بين بن عبد الملك بن جهور،صاحب قرطبة،وبين وزيره المحنك ابن السقا القديرين وجنودها الشجعان من أنصار ابن السقا،الذين خرجوا من الدولة بخروجه،وعندما هاجمها صاحب طليطلة،لم تكن قرطبة آنذاك تملك غير مئتين من الفرسان،فاستنجدت بالمعتمد بن عباد،الذي سارع إلى امدادهم بجيش رد صاحب طليطلة ثم احتل قرطبة،وبذلك دخل قرطبة وضمها إلى حكمه،وولى عليها ابنه الظافر،منفردا لاستطلاع الأمور فقتل وترك جثة في الطريق حتى لقيها أحد الأئمة فغطاها[3].

وانشغل المعتمد عن رثاء ابنه،في تدبير الثأر له،واستمر يبذل المحاولات،حتى تم له فتح قرطبة سنة(467هـ)وقتل ابن عكاشة، وظلت قرطبة بعدها تحت حكم المأمون باسم أبيه المعتمد حتى دخلها المرابطون،وقضوا على مملكة بني عباد سنة(484هـ)وبهذا بدأت المرحلة الثالثة،والتي بدأت بتفريق المعتمد أبناءه على قواعد الملك وستفعل أمره بغرب الأندلس،وعلت يده على كل من كان هناك من ملوك الطوائف،مثل (ابن باديس)(ابن حبوس بغرناطة،ابن الأفطس،ابن صمادح بالمرية)فكانوا جميعا يطلبون سلمه[4]،إذ لم يدم السرور للمعتمد،حيث تعاظم خطر الإمارة الإسلامية الأندلسية،ولم يكن المعتمد بمنأى عن ذلك الخطر،فقد هدده (الفونسو)عندما اقترب من اشبيلية،ولم يجد المعتمد حولا على

[1] _ ينظر،المرجع نفسه،ص41.

[2] _ أحمد المقري،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج4، دار المؤمون،القاهرة،دط،دس،ص625.

[3] _ المرجع نفسه،ص626.

[4] _ دوزي،ملوك الطوائف ونظرات في التاريخ الإسلامي،تر كامل كيلاني،مطبعة عيسى البابي،القاهرة،ط1، 1933،ص222.

دفعه ولا قوة،إذ كان استلاء الفونسو على طليطلة في العام المذكور ونذير شؤم على الأندلس عامة[1].

إذ أن الفونسو لم يعد يرضى بالجزية المفروضة، على المعتمد فأراد الحصول على أعظم مماليك الأندلس،فبعث للمعتمد برسول يهودي أغلظ هذا الأخير في كلامه مع المعتمد فقتله،واستفتى فيه الفقهاء فأفتوه،سمع الفونسو بموت رسوله فأقسم على الانتقام[2]،مع العلم أن المعتمد ومن خلفه من ملوك الطوائف جميعا لم تكن لهم القدرة على مواجهة نصارى الشمال،وقد استقر رأي الفقهاء،بعد اجتماعهم بقاضي قرطبة(ابن أدهم) على الاستنجاد بزعيم المرابطين في المغرب(يوسف ابن تاشفين) ثم اطلعوا المعتمد على ذلك فوافقهم،وكان المعتمد قد استشار مقربيه[3]،فنهاه بعضهم عن الاستنجاد بيوسف،فقال مقولته المشهورة "رعي الجمال خير من رعي الخنازير" فجمع المعتمد كل من قاضي بطليوس وقاضي قرطبة ووزيره إلى(يوسف بن تاشفين)طالبين النجدة وموقف المعتمد هذا يبن بعد النظر عند الرجل،وحسن تصرفه،وإيثاره المصلحة العامة على المصلحة الخاصة[4].

وقد كان (ابن تاشفين)ينتظر دعوة المعتمد بن عباد وكان قد حضر للقائه في مئة فارس وتسلم ابن تاشفين الجزيرة لتكون قاعدة انطلاق لجيشه،ثم انطلق إلى اشبيلية،للاستعداد للحرب من جهة ولانتظار الجيوش الأندلسية الإسلامية من جهة أخرى،ثم انطلق الجميع من اشبيلية فسار فرسان المرابطين في الطليعة،وعددهم عشرة آلاف يقودهم(داود بن عائشة) ثم الجيش الأندلسي،وعلى رأسه(لمعتمد بن عباد) ثم الجيش الصحراوي.يتقدمه(يوسف بن تاشفين)[5]،وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد الجيوش،ومع اختلاف المؤرخين في تقدير العدد اتفق جميعهم أن عدد المسلمين كانت أقل من عدد المشركين،وقد أرسل يوسف كما جرت عليه العادة في حروب الإسلام إلى الفونسو يخيره بين الإسلام أو الجزية،بعد أن حاصره في بطلبوس، أو الحرب،وبالطبع اختار الحرب،

[1] _ ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج4، ص119/118.

[2] _ ينظر،ابن الأبار،الحلة السيراء،تر عبد الله أنيس الطباع،دار النشر للجامعيين،بيروت،دط، 1962،ص351.

[3] _ ينظر،المرجع نفسه،ص351.

[4] _ ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج4، ص119.

[5] _ بطرس البستاني،معارك العرب في الأندلس،دار المكشوف،بيروت،دط،1959، ص22.

وكان نزول الفونسو في سهل الزلاقة يوم الأربعاء من العام(479هـ) ولما أصبح المسلمون في اليوم التالي،وقد توقعوا بدء المعركة فيه،إذا برسول من الفونسو يطلب تأجيل الحرب إلى يوم الاثنين،متعذرا بأن الجمعة عيد المسلمين،والسبت لليهود،والأحد للنصارى،فوافقهيوسف على ذلك،وخاله عدلا بينما نظر إليه المعتمد بعين الشك[1]،وأيقن أن الأمر خديعة،فأرسل عيونه إلى جيش الفونسو بينما بات هو يعد العدة للحرب،وقد جاء الخبر أن الفونسو يستعد للحرب،وقد قسم جيشه إلى قسمين،قسم يقوده(غرسيه)على المسلمين وقسم يقوده هو ضد جند يوسف بن تاشفين،غير أنه فوجئ بمقاومة عنيفة من جانب المعتمد الذي كان مستعدا للمباغتة،مؤازرا بفرسان المرابطين،بقيادة داود بن عائشة[2]،ولما خاب سعي غرسيه،عاد إلى خط دفاعه الثاني،ثم انقض جيش الفونسو على المسلمين بجيش صاعق،اضطر كثيرا من المسلمين إلى الفرار أمامه،ولم يثبت في ساحة القتال سوى فرسان اشبيلية،بقيادة المعتمد،وفرسان المرابطين،وقد ثبت المعتمد في ذلك اليوم ثبات عظيم،وأصابه العديد من الجروح في وجهه وبدنه،وشهد له بالشجاعة، ويقال أنها عقرت تحت المعتمد ثلاث أفراس،وهو يقاسي حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا[3]،ولما اشتد البلاء بالمسلمين،ظن الفونسو أن النصر حليفه،فقد كان يعتقد أن جند يوسف في حملة النحدرين،ولكن ضنه خاب،فقد كان يوسف بجيشه الصحراوي خلف أكمة،ولما علم يوسف بن تاشفين بالمعركة،بعث بقائده أبي بكر لنجدة المعتمد وابن عائشة،بينما التف يوسف بجحافله الصحراوية،وانقض على معسكر الفونسو،فوقع بحاميته،ونهب ما فيه من الذخيرة والسلاح،وقد فوجئ الفونسو،وهو يرى النصر قاب قوسين أو أدنىبجند.من حاميته فارين ولما وقف على الخبر،عاد إلى المعسكر،وهناك دارت المعارك بينه وبين جيوش يوسف ثم انقض عليه المعتمد بن عباد،داد بن عائشة بفرسانها من الخلف ولحق بهم من كان قد فر من جند المسلمين أول النهار[4]،ولما تكامل عدد المسلمين،حملوا حملة صادقة على جيش الفونسو،أهلكت معظم جيشه إذ استحر

[1] _ عبد الوهاب عزام،المعتمد بن عباد الملك الجواد الشاعر الشجاع المأزر،دار المعرفة،القاهرة،دط،دس،ص41.

[2] _ ينظر،ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج4،ص120.

[3] _ عبد الوهاب عزام، المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشعر المِزر،ص62.

[4] _ بطرس البستاني،معارك العرب في الأندلس،ص29.

فيهم القتل ،ولم ينجو من جيش الفونسو غير طويل العمر وقد هال موقف الفونسو،فلم يصدق ما تراه عيناه ولم يكن ليضن أن نصره أول النهار سيتحول إلى هزيمة نكرا أخره،فحاول المقاومة إلا أن اصابته جعلت منه قائد ضعيف،إلا أنه آثر الموت على أن يرضى بالهزيمة. فسارو على كره منه إلى تل مما يلي العسكر[1]،بعد ذلك رأى المعتمد أنه لا مناص من تتبعه غير أن يوسف خالفه في ذلك،وقد تنافر الناس خبر اختلاف وجهات النظر بينهما وقد أقام المسلمون ليلهم فرحين بالنصر،ثم تسارعت الحوادث بعد ذلك،فورد الخبر إلى يوسف بن تاشفين بموت ولده أبي بكر،الذي استخلفه على حكومته في مراكش،فلم يلبث إلا قليلا حتى عاد إلى إفريقيا لتنظيم أمور دولته هناك،أما المعتمد فقد اثبت في هذه المعركة أنه الرجل المقاتل،المخطط،وأنه آثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة،وهذه خصال القائد الذي قال فيه ابن الأنبار(فضل الاستعانة بمن يظهر له الكراهية على أن يسلم بلاده لقمة صائغة إلى الروم المحيطين به من كل جهة)[2].

3_ الملك الأسير: من خلال استطلاع الظروف التي أطاحت بالمعتمد ودفعته إلى طلب النجدة من (يوسف بن تاشفين)،وهذا ما يبن أن المعتمد قد فكر في الموضوع من وجوهه المتلفة وهكذا كانت معركة الزلاقة ممهدة لضم الأندلس الإسلامية برمتها إلى دولة المرابطين ،فهذه المعركة التي انتهت في يوم واحد،الجمعة 23 كانون الأول عام 1086 دونت حدث عظيم في تاريخ الإسلام هي وإن تكن فتحت أبواب الأندلس لمرابطي إفريقيا لقد ثبتت فيها أقدام المسلمين مدى أربعة قرون[3]،ويتضح أن يوسف بن تاشفين ومن معه من المرابطين،قد أحبوا الأندلس وطمعوا في ضمها إلى ملكهم مستفيدين من تفرق.أمرائها وضعف شأنهم وقد أخذ يوسف يهيئ الظروف ويترقب الفرص المواتية لتحقيق هدفه،فبدأ بذلك يهيئ لوجود المرابطين في الأندلس،إضافة إلى وجودهم في الجزيرة الخضراء التي تنازل لهم عنها المعتمد لقاء نصرته في الزلاقة،ولكن أطماع المرابطين لم تقف عند هذا الحد،فقد قرر يوسف الإيقاع بملوك الطوائف بعد أن تناهى لأسماعه عودتهم إلى ما

[1] _ الفتح بن خاقان،قلائد العقيان،ص14/13.

[2] _ المرجع نفسه،ص15.

[3] _ بطرس البستاني،معارك العرب في الأندلس،ص30.

عهدوه من التفرق،والتخاذل أمام العدو،فبدأ يصاحب غرناطة،ثم ثنى إلى المعتمد فنازلته قوادي يوسف في اشبيلية ونازلت ولده المأمون في قرطبة،والراضي في رندة[1]،وهكذا بدأ عقد المملكة العبادية ينفرط،فقد تقدمت جيوش ابن تاشفين،وحاصرت قرطة سنة(484هـ) وقتلت المأمون،وقد تأثر الخونة على المعتمد وتأزم الأمر عليه ودفع به اليأس إلى طلب النجدة من الفونسو عدو الأمس،فهب هذا الأخير لنجدته[2]،وهزم المرابطين هزيمة نكراء وبذلك علم المعتمد أن ملكه سائر إلى الزوال وقد استطاع الناقمون على المعتمد، إحداث فجوة في مدينة والحكم وفي يوم الأحد الواحد والعشرين ليلة خلت من رجب من السنة المذكورة،وهذا يوم الكائنة العظمى،والطامة الكبرى دخل البلد من واديها وأصيب حاضرها وباديها،بعد أن جد الفريقان في القتال،واجتهدت الفئتان في النزال وظهر من اندفاع المعتمد ترامية على الموت بنفسه،مالا مزيد عليه ولا تناه لحق إليه[3]،ويصف ابن خاقان مقاومة المعتمد لهم بقوله:(فلقيهم في رحبت القصر،وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رحبتهم أعضاؤها فحمل عليهم حملة سيرتهم فرقا ،ومازال يوالي عليهم الكر حتى أوردهم النهر...،وعاد إلى قصره واستمسك به يومه وليلته مانعا لحوزته،ودافع للذل عن عزته،وقد عزم على قطع أمر،وقال بيدي لا بيد عمرو[4]) ثم صرفه تقاه كما كان نواه،ويمضي ابن خاقان في وصف ترحيل المعتمد وأهله،فيقول:(ثم جمع هو وأهله ،وحملتهم الجواري المنشأة،وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعدما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر،والناس قد حشروا بضفة الوادي وبكوا بدموع كالغوادي...،وكان نزول المعتمد بادي الأمر في مدينة طنجة، وقد أقام فيها أيام،لقيه فيها الشاعر(الحصري الضرير)،وكان قد مدح المعتمد بقصائد شعرية.

فعرضها عليه،فلم يجد المعتمد منه سوى ثلاثين مثقال،فأعطاه،واعتذر من قلتها،ومن طنجة نقلا المعتمد إلى مدينة مكناسة،فأقام فيها عدة شهور إلى أن نفذ الأمر بترحيله إلى أغمات[5]،ولما وصل المعتمد إلى أغمات معتقله ذاق الأمرين كما سينجلي لنا ذلك من

[1] _ ينظر،ابن الخطيب،تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام،ص163.

[2] _ ينظر،عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص200.

[3] _ المرجع نفسه،ص202.

[4] _ ينظر،ابن خاقان،قلائد العقيان،ص24/23.

[5] _ عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص205.

خلال شعره،فقد راح يصعد الزفرات ويحن إلى قصره،بحصنه الزاهر ولياليه،وسكانه وبساتينه[1]فقال:

_ غَرِيبٌ بِأَرْضِ المُغْرِبِينَ أَسِيــرُ سَيَبْـكِي عَلَيْهِ مِنْبَرٌ وَسَـرِيرُ.

_ مَضَى زَمَنُ وَالمُلْكِ مُتَأَنِسٌ بِهِ وَأَصْبَحَ مِنْهُ اليَوْمَ وَهُوَ نَفُورُ.[2]

وعندما استقبله عيد الفطر في أغمات،إذا ببناته وأبنائه يدخلون عليه،يؤدون رسم التبريك فيفنظر إليهم،فرأى فتيات كالزهر في أطمار باليه،ودموعهن في العيون حائرة حافيات الأقدام بأيديهن المغازل،وقد غير البأس تلك الوجوه الجميلة،فجاش الشعر في خاطره[3] فكانت لنا منه هذه الأبيات النابضة بالإحساس الموجع فقال:

_ فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَسَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا.

_ تَرَى بَنَاتِكَ فِي الأَطْمَارِ جَـــائِعَةً يَغْزِلْنَ لِنَّاسِ لَا يَمْلِكْنَ قِـــطْمِيرَا.

_ بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلتَسْلِيمِ خَـــاشِعَةً أَبْصَارَهُنَ حَسِيرَاتٌ مَكَـــاسِيرَا.

_يَطَأْنَ فِي الطِينِ وَالأَقْدَامُ حَـــافِيَةٌ أَنَهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكًا وَكَـــافُورَا.

_ أَفْطَرْتُ فِي العِيدِ لَا عَادَتْ إِسَاءَتُهُ فَكَانَ فِطْرُكَ لِلْأَكْبَادِ تَفْطِيـــرَا.[4]

ومما زاد من معاناة المعتمد وأرق مضجعه ما آلت إليه أحوال أسرته بعد الأسر فقد كان أحد أبنائه نافخ كير عند صائغ،وقد سطر المعتمد على ذلك شعرا...،أمل ابنه عبد الجبار فقد ثار على المرابطين،فشددت الرقابة على المعتمد وأثقلت عليه القيود[5].

---

[1] _ عيسى خليل محسن،أمراء الشعر الأندلسي،ص217.

[2] _ المعتمد بن عباد، الديوان،ص100.

[3] _ عيسى خليل محسن،أمراء الشعر الأندلسي،ص217.

[4] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص102.

[5] _ ابن خاقان،قلائد العقيان،ص29/28.

ويقول في ذلك ابن خاقان(ولما زأر الشبل خيفت ثورة الأسد،ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد،فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناها،وحل ساحت الخطوب وفنائها)[1] وذكر أن لصوص عاثوا فساد في المغرب فقبض عليهم أمير المسلمين،وسجنهم بأغمات،وقد طلب هؤلاء السجناء أن يكونوا إلى جانب المعتمد فسمح لهم بذلك،فكان المعتمد يتسلى بصحبتهم ويجد أثر مؤانستهم حتى شفع فيهم فانطلقوا جميعا،وأفرج عنهم،فبقي وحيدا في سجنه[2]،وفي ذلك يقول:

ـ خَرَجْتُمْ جَمَاعَاتٍ وَخُلِفْتُ وَاحِدًا وَاللهُ فِي أَمْرِي أَمْـرِكُمْ الحَمْدُ.[3]

فوا عجب لملك لا يجد له جليسا سوى ثلة من لصوص بعدما كان السمارا يتزاحمون على بابه،ويا عجبا للصوص يجدون من يشفع فيهم،ومن يصفح عنهم من عظم جريرتهم والملك لا يجد له شافعا،حتى يموت في سجنه وحيدا حزينا...،ولم يزل المعتمد يتجرع النكبات وتتوالى عليه الأزمات يوما بعد يوم حتى وافته المنية عام(488هـ) ودفن في أغمات[4].

ثانيا: أبو فراس الحمداني.

1ـ أبو فراس نسبه ومولده: هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني،ألتغلبي ولد سنة (320هـ،932هـ) [5] في الموصل، وتكاد كل المصادر التي تعرضت لسيرة الشاعر تجمع على ذلك،إلا أن هناك من يرى انه ولد عام (321 هـ).

غير انه استبان بالاستقصاء و التتبع أن التاريخ الأول اقرب إلى الحقيقة درجات وذلك كون المصادر التاريخية تثبت انه توفي عام (357هـ) و انه لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره ومن هنا فتاريخ مولده هو (320هـ،932هـ)[6].

---

[1] ـ المرجع نفسه،ص26.

[2] ـ المرجع نفسه،ص28.

[3] ـ المعتمد بن عباد،الديوان،ص108.

[4] ـ ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج4،ص128.

[5] ـأبو فراس الحمداني،الديوان ،شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل،بيروت،لبنان،دط،دس،ص5.

[6] ـ أبو فراس الحمداني،الديوان، ص3

شب الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ألتغلبي المعروف بابي فراس الحمداني في ظل أسرة،عرف المجد طريقها إليها ونعمت بالغنى والثروة والسلطة والجاه، وكانت موضع التقدير من ذوي المكانة والمنزلة وهذا كان سببا في رفع ذكره وعلو شانه، ولطالما أقر بهذه الحقيقة أستاذه (ابن خالويه)[1]،والده كان أميرا على الموصل،اسمه سعيد بن حمدان،ومن أم كانت طيبة القلب ،زكية النفس،كما يبدو من شعر ابنها، قيل أن أصلها رومي[2]،استنتاجا من القصيدة التي أرسلها إلى سيف الدولة يعاتبه فيها على تأخره عن أمر المفاداة،إذ يقول:

_إِذَا خِفْتَ مِنْ أَخْوَالِي الرُّومُ خِطَّةً تَخَـوَفْتَ مِنْ أَعْمامِي العَرَبُ أَرْبَعَا.

_ وَإِنْ أَوْجَعْتَنِي مَنْ أَعَادِي شِيـمَةٌ لَقِيتَ مِنَ الأَحْبَابِ أَدْعَى وَأَوْجَاعَا.[3]

وقد اشتهر جده حمدان بالبأس في القتال وبالكرم وحسن السياسة،وكان والده بطلا من أبطال الحمدانية، وزعيما من زعمائهم وكان على صلة وثيقة بالخليفة المقتدر، يحارب في صفه ويعينه على إخماد الثورات الكثيرة التي كانت تنشب ضده في ذلك الحين ، وكان صاحب غزوات في بلاد الروم ،كما كان هذا الوالد شاعرا وفارسا شجاعا ومن شعره قوله بعد أن انتصر على قوم يدعون بني عقيل، في مكان يسمى سرحا وراء نجد:

_ يَـا لَيْتَهَا تَـسْأَلُ عَـنْ مَـوْطِنِي بِـأَرْضِ سَرْحٍ وَالقَنَا شَـرْعُ.

_ وَعَـنْ عُـقَيْـلٍ إِذَا ضَبـحْنَاهُـمْوَقَـدْ تَلَاقَي الحَـشْدُ وَالـدِرْعُ.

_ وَقَـدْ أَتَـانَا مِنْهُتمْ فَـلِيـقٌ حَـمَاهُ حَـامِ مَالَهُ مِدْفَـعُ[4].

و لم يكن أبو فراس وحيد والده بل كان لهم إخوة نذكر منهم الحسين و أبا الهجاء و كان له أختان تزوجت إحداهما سيف الدولة و الأخرى أبو العشائر.....،و لكن كان الابن الوحيد لامه ولم يكن لها من معول سواه، ولقد عاشت هذه المرأة من اجل ابنها وأوقفت حياتها على تربيته، فلم تتزوج بعد مقتل أبيه،بل احتضنته وصرفت حنانها وحبها إليه

[1] _ حنا الفاخوري،تاريخ الأدب العربي،مج 2 ، بيروت،لبنان،ط2 ،1951،ص 652.

[2] _ المرجع نفسه،ص 653.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص206.

[4] _ المصدر نفسه،ص 106

وحده،فكان أنيسها في الوحدة و عزاءها في الآخران وأملها في الحياة، وطبيعي أن يؤدي ذلك إلى رابط متين بين الأم وولدها[1].

وقد اشتهر في بلاد المقتدم بالفصاحة والشجاعة ،في بلد الموصل وضعت زوجته الرومية غلاما سماه(الحارث) وكناه (أبو فراس) كنية الأسود وسمة الشجاع، ولا يقف هذا الأمر عند هذا الحد، فقد انتقلت أم أبي فراس، وكانت هناك اختلافات في نسب أمه.[2]

فهناك من يذهب إلى أن نسب أمه الروم أي أن الروم أخواله،وأخر يجعل خؤولته في بني تميم وبناء على ذلك فإما أن يكون الشاعر قد ناقض نفسه لجهل أو لتمويه وليس هذه بمعقولة وما دامت الرواية في الشعر موثقة فلابد أن يكون احد الأمرين الآتيين صحيحا، فإما أن تميما هم أخوال الشاعر لأبيه ،وهذا هو الرأي الأرجح، وإما أن تكون إحدى جداته لامه أو أبيه رومية، ومهما يكن من أمر فان أبا فراس، كان عربيا في كل شخصه، ولم يكن للدماء الرومية أي أثر فيه،إذ كان عدو للروم يحاربهم ويسخر منهم،ولا يعتز إلا بالفضائل العربية الأصلية، ترى لو كانت أمه رومية حقا أفما كان ذلك جديرا أن يبعث إلا بالفضائل العربية الأصلية، ومن هنا يمكن القول إن أبا فراس كان عربيا في كل شخصه عربي الوجه واليد واللسان[3].

2_ **نشأته و ثقافته:** لقد شاءت إرادة الله أن يكتب على أبي فراس أن ينعم بحنان الأبوة فلقد قتل والده،وهو لم يتجاوز بعد الثالثة من عمره،فحضنته أمه و قامت على أمره بواجب الرعاية والتربية، وهذا عيش جديد في حياة الفتى،ومرحلة ثانية من مراحل حياته،قام سيف الدولة تجاه الفتى بواجب العناية و الرعاية،فحاول أن يكون بمثابة الوالد لهذا اليتيم،وان يذهب الوحدة من قلبه،ويذهب عنه وطأة اليتم،فحمله معه إلى بلاطه.

في حلب، والحق أن سيف الدولة الحمداني قد وفر لابن عمه الناشئ تربية صالحة، وتعهده بالتدريب في ميادين الرجولة،ولعله كان في اشد الحاجة إلى شبان من أمثال أبي فراس،يعتمد عليهم في بناء دولته وفي الذود عنها من العدو المحيط به من كل جانب، فخرج أبو فراس بين يديه،فارسا مقداما غير هياب للشدائد عارفا بأصول الحرب،قادرا على

[1] _ مصطفى محمد السيوفي ،أمراء الشعر في دولة بني العباس،الدار الدولية،القاهرة،ط1 2008،ص 190

[2] _ المرجع نفسه ص 192

[3] _ المرجع نفسه ،ص 192

قيادة الجيوش والثبات في ساحة الوغى،وهو بعد فتى غض العود ومما يذكر في هذا الصدد وتدريبه على الفروسية وأساليبه القتال فكان يقوم به(واصل بن عبد الله) أعظم المدربين مهارة، وابرعهم ضربا بالسيف أو طعنا برمح أو إصابة بسهم ،ولم يكن يجد في تدريب الفتى الناشئ عناء ومشقة، ويتضح اثر الوراثة في أبي فراس في هذا المجال[1]فإن اثر الوراثة في أبي فراس كان عميقا بعيد الغور فلم يمض شهر حتى حذق فنون الحرب،وركوب الخيل، وأخذ يفاخر أنداده ولم يعقد رهان إلا كان فيه المجلي، السباق وعندما انس منه سيف الدولة هذه النجابة التي ظهرت عليه منذ الصبا،أكبره وأحبه وزاد عطفه.عليه[2] ،وتعلق به وأراد أن يفتح أمامه طريق المجد والعظمة،فصحبه معهفي الغزوات حتى إذا اشتد ساعده وبلغ من العمر ستة عشر سنة،اسند إليه إمارة تفرض على صاحبها مهمة شاقة جدا.[3] فهي اخطر ثغر من ثغور الدولة الحمدانية ، وهي اقرب طريق ينفذ منه البيزنطيون إلى بلاد الشام ،لهذا لم يكن منتظرا من أبي فراس،أن يهدا ولم يكن منتظرا منه أن ينصرف إلى نعيم الحياة ولذاتها،وكأنما شاءت الأقدار إلى أن تدفع به إلى مصاف الرجال العظماء فلم تهيئ له من أسباب اللهو ما كانت تهيؤه لأمثاله من أبناء الأمراء ولم تشأ أن تجعل منه شابا يعيش على هامش الحياة لكنها فرضت عليه أن ينصرف إلى جليل المهمات وان يضطلع بمهام الرجال الأشداء وهو بعد في عمر الصبا [4]،لم يتوان هذا الفتى عن عمله ولم يتذمر من المشقات،ولم يكن ليخشى الأهوال ،ولكنه كان يجد في الكفاح والنضال ما يرضي نفسه إلى حد بعيد،وفي تذوق لطعم النصر بعد النصر ما يؤكد هذه الحقيقة.

وهو القائل:

ـ وَإِنِـي لَجَـرَارٌ لـكُلِ كَتـيبَةٍ مُـعَوَدَةٍ أَنْ لَا يَـخِلَ بِهَا النَّصْـرُ.

ـ وَإِنِي لَـنَزَالٌ بِكـلِ مَخُـوفَةٍ كَثِيرًا إِلَيَ نـزَالُهَا النَـظِرُ الشّزِرُ.

---

[1] ـ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص317

[2] ـ علي الجارم،فارس بني حمدان،مطبعة وزارة التربية و التعليم،القاهرة،دط ،دس،ص 30.

[3] ـ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص159.

[4] ـ مصطفى محمد السيوفي،أمراء الشعر في دولة بني العباس،ص .196

ـ حَتَى تَرْتَوِي البِيضُ وَالقَنَا وَاسِعَةٌ حَتَى يَشْبَعَ الذِئْبُ وَالنَسْرُ.[1]

فتجده يلمع في أبياته إلى تلك الانتصارات العظيمة التي كانت دأبه دائما في كل معاركه مع أعدائه الروم وغيرهم، وفي أشعاره يشير إلى سجيته الأصلي والبطولات المتعاقبة وذلك ما خلد ذكره إلى الأبد[2]،فقد نشأ أبو فراس على ثقافة واسعة تتناول الأدب واللغة والأدب والتاريخ والشعر والفلسفة وغير ذلك ،ووسط هذا الجو الحافل بالجهابذة من العلماء والأدباء والشعراء واللغويين أحسنت كل من توافرت فيه ذرة من شاعرية بقول الشعر والإجادة فيه،وأبو فراس واحد من هؤلاء الذين حباهم الله شاعرية فذة،وكأنما انتقلت إليه بالوراثة،يقول الشعر ويتذوقه ويشجع قائله،وعليه فقد تم لأبي فراس أن يكون شاعرا مجيدا إلى جانب كونه من ابرز الفرسان وأشجعهم وأبرعهم في الطعن والنزال[3]،ثقافة سمحت له أن يترك شعرا اجمعه ابن خالويه، بعد موته وأوردت له كتب الأدب طائفة حسنة من شعره ولاسيما الرومانيات،وطبع الديوان مرات عديدة وعني الدارسون المحدثون بشرحه ودرسه[4]، وكان الصاحب يقول:بدئ الشعر بملك– يعني امرئ القيس–وختم بملك يعني– أبا فراس– كما وصف انه فرد دهره، وشمس عصره، أدبا وفضلا وكرما ونبلا ،ومجدا وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة [5]، والشعر في نظر أبو فراس ،ديوان العرب وسجل حافل بحياتهم ومعايشهم وما كان لهم من أثار نذكر على مر الزمن وتتابع الأجيال ومن هنا كان الشعر في نظره عنوان الأديب فيه الذوق وفيه الشعور ورقة الإحساس، وفيه الظرف والكياسة والذكاء ورقة الطبع، وحسن الشمائل، وفيه إلى ذلك أيضا المعرفة الواسعة،اللغة من فصاحة وبالغة وبيان واغتراف من بحر التراث الأدبي.الفكري والتاريخي،لذلك كانت له،فيه مشاركات ،خصوصا أن الرجل المثالي أيام أبي فراس،كان يعول فيه على صفتين أساسيتين[6]، الفروسية والأدب من حسن الفهم لحقيقة الأدب

---

[1] ـ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص 159.

[2] ـ المصدر نفسه،ص 159.

[3] ـ محمد كواكبي،خصائص الخطاب الشعري(في ديوان أبي فراس الحمداني)،ص19

[4] ـ عباس صادق ،موسوعة أمراء الشعر العربي،دار أسامة،الأردن عمان ط 1 ،2002،ص81

[5] ـ ابن منصور ،عبد الملك الثعالبي اليابوسي ،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،شرح و تحقيق،مفيد محمد قميحة،مج1، دار الكتب العلمية، بيروت،النبل،ط1،ص146 ،2000،ص57

[6] ـ ابن منصور ،عبد الملك الثعالبي اليابوسي ،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،ص59.

ووظيفة الشابي نلاحظ أن موضوعات شعره تتنوع بين الفخر والحماسة والغزل والوصف والحكمة والرثاء والاحتجاج والمناظرة والشكوى والعتاب ومراسلة الأهل والإخوان وتشريح خطوات النفس وإظهار ما في الوجدان من الأم وأمال وأفراح وأحزان، وغير ذلك مما يصح أن يكون موضوعا للشعر[1]، ولهذا خلص شعر أبي فراس من الموضوعات التي كانت تشوب الشعر في زمنه ليقتصر على أغراض تلاؤم شخص الرجل وتتفق مع مفهومه للشعر وطبيعته ومع الحياة التي كان يحياها، وبعد فلا نظن هذه الأغراض قليلة الأهمية فإن شاعرنا كان نسيجا وحده. دون بقية الشعراء في عصره أو بعده،ذلك أن هناك كثيرا من الأمور توافرت فيه و لم تتوافر لغيره من الشعراء ،و بتعبير أخر شذ شاعرنا عن مألوف الشعراء في الاتي:[2]

1_ انه لم يكتسب بشعره على عادة الشعراء في عهده .

2_ انه ابتعد بشعره عن ألوان العبث و المجون ،و التهتك و الشعر الداعر.

3_ انه كلما ابتعد شعره عن التكسب و طريق المال و العطايا،أيضا ارتفع به عن طريق الهجاء.

4_ انه كان يرسل تموجاته الشعرية على طبيعته دون تكلف أو تصنع .

5_ ناهيك أن أبا فراس لم تتح له حياة اللهو عابثة ماجنة حتى يصورها في شعره فلقد كان المجد مخيما عليه من كل ناحية و كانت الحياة تتطلب منه أمور جليلة هي و المجون على طرفي نقيض.

3_ أسره ووفاته:

[1] _ عباس صادق،موسوعة امراء الشعر العربي،ص 89.

[2] _ مصطفى محمد السيوقي،امراء الشعر في دولة بني عباس ،ص206 ، 206

مر بنا في الصفحات الماضية أن أبا فراس الحمداني أمضى زهرة حياته وشبابه في الجهاد تارة ضد الروم وتارة ضد القبائل العربية التي كانت تثور بين الحين ولأخر ،لقد كانت المهمة الموكلة إليه معينة،حيث تولى منبج وهي الثغر المهم وخط الدفاع الأول عن حلب، وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، لقد أبلى أحسن البلاء في الجهاد ضد الطرفين فهو عرف عنه البأس والنجدة، ونظره في شعر أبي فراس تعطينا فكرة عن جهاده ضد الطرفين[1] ،حيث يقول:

ـ يَمَنُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي، وَإِنَمَا عَلَى ثِـيَابِ مِنْ دِمَائِهِمْ حُـمْرُ.

ـ وَقَائِمُ سَيْفِ فِيهِمْ نْدُقَ نَصْلُهُ وَأَعْقَابُ رُمْحٍ فِيهِمْ حَطَمَ الصَدْرَ.[2]

نعم لقد كان أبو فراس يرتدي ثيابا مخضبة بدماء الروم كناية عن البلاء فيهم وكذلك فان سلاحه الذي يحمله فيه الأثر من جهادهم ،مادام كذلك فقد حق لأبي فراس أن يفخر بنفسه في البيت التالي قائلا:

ـ سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَ جِدُهُمْ وَفِي اللَيْلَةِ الظَلْمَاءِ يُفْتَقَدُ القَمَرُ.[3]

وقد كانت أيام أبي فراس حروبا متوالية مع الروم ،وقد خانه الحظ يوما فوقع أسيرا سنة 959 م في مكان يعرف باسم(مغارة الكحل) ،فحمله الروم إلى خرشنة ،وكان فيها للروم حصن منيع ولم يمكث في الأسر طويلا ،وقد اختلف في كيفية نجاته ،فمنهم من قال أن سيف الدولة افتداه،[4]ومنهم من يقول انه استطاع الهرب .والأرجح انه امضي في السجن ثلاث سنوات، وعاد القتال بينه وبين الروم إلى أن تكاثروا عليه وحاصروه في منبج فسقطت قلعته سنة 962هـ ووقع أسيرا وحمل إلى القسطنطينية حيث أقام أربعة سنوات [5] وقد تباطأ سيف الدولة في أمر فدائه،فراح يكتب ذكرياته وآلامه قصائد يرسلها إليه وإلى أمه وأصدقائه[6] إلا أن هذه المرحلة يكتنفها الغموض من نواحي عدة ،فقد اختلف.المؤرخون في تاريخ الأسر وفي عدد مرآته كما اختلفوا أيضا في السبب الحقيقي

---

[1] ـ أبو فراس الحمداني ،الديوان،ص 165.

[2] ـ المصدر نفسه،ص182.

[3] ـ المصدر نفسه،ص165.

[4] ـ ينظر، المصدر نفسه،ص 6.

[5] ـ ينظر، المصدر نفسه، ص6.

[6] ـعباس صادق،موسوعة أمراء الشعر العربي،ص 80.

وراء طول فترة الأسر فمن المؤرخين من أشار إلى أن الرجل اسر مرتين ،ومنهم(حنا الفاخوري) الذي يستدل على أسره مرتين بالإشارة إلى ما ورد في كتاب "وفيات الأعيان" مع أن الكاتب قال:وكانت الروم أسرته في بعض وقائعها وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في إلى خرشنة ثم منها إلى قسطنطينية وذلك سنة348 هـ وفداه سيف الدولة في 355هـ [1]،ثم يستدرك قائلا:"قلت هكذا قال(أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي) وقد نسبوه إلى الغلط وقالوا: اسر أبو فراس مرتين:فالمرة الأولى بمغارة الكحل سنة 348 هـ وما تعدوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري تحتها، يقال انه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى فرات، والمرة الثانية أسره الروم.

إلى منبج،في شوال سنة 351هـ ،وحملوه إلى القسطنطينية [2]ويرى(بطرس البشاني) و(عمر فروخ)و(الزركلي) أن أبا فراس اسر مرة واحدة وأن ذلك حدث سنة 351 هـ[3].

ونظرا للمكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها أبو فراس الحمداني فانه من المستبعد حقا أن تطول فترة أسره، مما دفع الباحثين للذهاب في ذلك مذاهب شتى[4]، وإذا أضفنا إلى ذلك كله المصائب التي تداعت على سيف الدين نفسه، من مرض أدى به إلى شلل نصفي كما انه مني بهزائم في حربه ضد الروم، الذين دخلوا حلب وعاثوا فيها فسادا أمكن لنا أن نتصور السبب الحقيقي وراء تأخر الفداء ،وانه من غير المعقول إن نسيء فهم ذلك[5] بعد مضي سنه على خروجه من الأسر، توفي سيف الدولة(قرغوية) طمع في التسلط ،فنادى(بابن سيده أبي المعالي) آمرا على حلب،أملا أن يبسط يده باسم أميره على الإمارة بأسرها،وأبو المعالي هو ابن أخت أبي فراس،أدرك هذا الأخير نواياه فدخل حمص فأوفد أبو المعالي جيشا بقيادة قرغويه، فدارت معركة قتل فيها أبو فراس، وكان ذلك في 08 ربيع الأول سنة 357هـ،12 آذار 968 م.[6]

---

[1] _الفتح بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،مج7،مكتبة النهضة المصرية ،ط1، 1984،ص350.

[2] _ المرجع نفسه،ص350 .

[3] _ بطرس البستاني،أدباء العرب في الأعصر العباسية،ص 495.

[4] _ المرجع نفسه،ص 366.

[5] ابن الأثير،الكامل في التاريخ ،مج2،دار صادر،د ط ،بيروت 1965،ص538.

[6] _ أبو فراس الحمداني ، الديوان ،ص 6.